

من خطب آية الله الراضي

شهر رمضان ربيع القرآن

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

قال تعالى : ( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ )

شهر رمضان هو الشهر التاسع من الشهور القمرية العربية بين شعبان وشوال ولم يذكر اسم شيء من الشهور في القرآن إلا شهر رمضان .

### علم الرسول بالقرآن

وهذا هو الذي يلوح من نحو قوله تعالى : ( وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ) طه - ١١٤ ، وقوله تعالى : ( لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ) القيامة - ١٩ ، فإن الآيات ظاهره في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان له علم بما سينزل عليه فنهي عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي ، وسيأتي توضيحه في المقام اللائق به - إنشاء الله تعالى - .

### يميز الحق من الباطل

قوله تعالى : هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، الناس : وهم الطبقة الدانية الذين سطح فهمهم المتوسط أنزل السطوح ، يكثر إطلاق هذه الكلمة في حقهم كما قال تعالى : ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) الروم - ٣٠ ، وقال تعالى : ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) العنكبوت - ٤٣ ، وهؤلاء أهل التقليد لا يسعهم تمييز الأمور المعنوية بالبينة والبرهان ، ولا فرق الحق من الباطل بالحجة إلا بمبين يبين لهم وهاد يهديهم والقرآن هدى لهم ونعم الهدى ، وأما الخاصة المستكملون في ناحيتي العلم والعمل ، المستعدون للاقتباس من أنوار الهداية الإلهية والركون إلى فرقان الحق فالقرآن بينات وشواهد من الهدى والفرقان في حقهم فهو يهديهم إليه ويميز لهم الحق ويبين لهم كيف يميز ، قال تعالى : ( يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) المائدة - ١٦ . ومن هنا يظهر وجه التقابل بين الهدى والبينات من الهدى ، وهو التقابل بين العام والخاص فالهدى لبعض والبينات من الهدى لبعض آخر<sup>١</sup>

<sup>١</sup> تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ج ٢ ص ٢٣ .

### القرآن طريق الهداية

قال تعالى : ( **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ) الإسراء : ٩ أقوم أفعل التفضيل أي إلى أحسن الطرق وأفضل الغايات التي يمكن أن يتمناها المتمني إذا انكشفت له الأمور وقال تعالى ( **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ) إبراهيم : ١ أي تحقيق الهدف الذي جاء من أجله الإنسان . وقال تعالى ( **هَذَا بَيِّنَاتٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ) آل عمران : ١٣٨

#### معنى الهداية

الهداية هي الدلالة وإراءة الغاية بإراءة الطريق ونحو إيصال إلى المطلوب .

#### والهداية تنقسم إلى قسمين :

١- الهداية التكوينية : وهو أن الله سبحانه قاد كل شيء في الكون إلى الأكمل والأحسن وأودع فيه القابلية على ذلك ويتضح ذلك في نظام الكون كله قال تعالى ( **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ) طه : ٥٠ . وقال : ( **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** ) الأعلى : ٣

٢- الهداية التشريعية : وهي التي تتم عن طريق الأنبياء والرسل والكتب السماوية وتعلق بالأمور التشريعية من الاعتقادات الصحيحة والأعمال الصالحة التي وضعها الله سبحانه والأوامر والنواهي والبعث والزجر والترغيب في الثواب والترهيب في العقاب قال تعالى : ( **وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا** ) الأنبياء : ٧٣ ومن هذه الهداية إراءة الطريق كما في قوله تعالى : ( **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ) الإنسان : ٣

### عظمة القرآن

قد ورد في الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ( فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه )<sup>١</sup> . وفي صحيح الترمذي : ( فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ) . وحسب القرآن عظمة ، وكفاه منزلة وفخرا أنه كلام الله العظيم ، ومعجزة نبيه الكريم ، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم ، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل .

<sup>١</sup> بحار الانوار ج ٨٩ ص ١٩ ، صحيح الترمذي ج ٥ ص ١٦٩ ح ٢٩٢٦ باب ٢٥ من أبواب فضائل القرآن .

### التلازم بين القرآن والعترة

نعم من الخير أن يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب ، وأن يكل بيان فضل القرآن إلى نظراء القرآن ، فإنهم أعرف الناس بمنزلته ، وأدلمهم على سمو قدره ، وهم قرناؤه في الفضل ، وشركاؤه في الهداية ، أما جدهم الأعظم فهو الصادع بالقرآن ، والهادي إلى أحكامه ، والناشر لتعاليمه<sup>١</sup> وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل القرآن وعظمتته عن أهل بيت العصمة والطهارة عدل القرآن وشركاؤه والذي قال جدهم صلى الله عليه وآله وسلم فيهم :

( يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي )<sup>٢</sup>

وفي رواية ( إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض )<sup>٣</sup> ولا غنى لأحد من الأمة عنهما معاً بل ولا عن أحد الثقلين دون الآخر وإلا لخسر وأصبح ضالاً ولا يمكن أن تتحقق أهداف القرآن إلا بالتمسك بالقرآن والعترة معاً والتخلي عن أحدهما تخل عن الآخر فقد جاء في تفسير العياشي : عن مسعدة بن صدقة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن ، وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن وبها يوهب الكتب ، ويستبين الإيمان ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمد ، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها : إني تارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر والثقل الأصغر فأما الأكبر فكتاب ربي وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما ، فلن تضلوا ما تمسكنم بهما<sup>٤</sup> .

### أهمية القرآن وفضله

العترة هم الأدلاء على القرآن ، والعالمون بفضله . فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم في فضل القرآن وعظمتته - بعد القرآن نفسه - ، ونستضيء بإرشاداتهم . وقد جمع شيخنا العلامة المجلسي تلك الأحاديث وما يتعلق بالقرآن في البحار ج ٨٩ و ٩٠ .  
وإليك بعضها :

### القرآن هدى من الضلالة

<sup>١</sup> البيان في تفسير القرآن - السيد الخوئي ص ١٧ .

<sup>٢</sup> الجامع الصحيح للترمذي ح ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨ .

<sup>٣</sup> المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٦١ ح ٤٧١١ . وانظر بقية المصادر للحديث في تعليقة المراجعات تحت رقم ٢٩ - ٣٤ .

<sup>٤</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٢٧ .

١- روى العياشي في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : القرآن هدى من الضلالة ، وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ، ونور من الظلمة ، وضياء من الأحزان ، وعصمة من الهلكة ، ورشد من الغواية ، وبيان من الفتن ، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم ، فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله للقرآن ، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار<sup>١</sup>

### المخرج من الفتنة

٢- روى الحارث الهمداني<sup>٢</sup> قال : ( دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت : ألا ترى أن أناسا يخوضون في الأحاديث في المسجد ؟ فقال : قد فعلوها ؟ قلت : نعم ، قال : أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ستكون فتن ، قلت : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، هو الذي من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور )<sup>٣</sup> .

### النور الذي لا يطفأ

٣- وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن : ( ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحُه وسراجا لا يخبو توقده ، وبحرا لا يدرك قعره ، ومنهاجا لا يضل نهجه ، وشعاعا لا يظلم ضوءه ، وفرقانا لا يحمد برهانه ، وتبيانا لا تهدم أركانه ، وشفاء لا تخشى أسقامه ، وعزا لا تهزم أنصاره ، وحقا لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان ومجربته وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه<sup>٤</sup> وأثافي الإسلام وبنائه وأودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه المستنزفون ، وعيون

<sup>١</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٢٦

<sup>٢</sup> انظر ترجمة الحارث واقتراء الشعبي عليه في قسم التعليقات لكتاب البيان للسيد الخوئي رقم ( ٢ ) .

<sup>٣</sup> هكذا في سنن الدارمي ج ٢ ص ٤٣٥ ، كتاب فضائل القرآن ومع اختلاف يسير في ألفاظه في صحيح الترمذي ج ٥ ص ١٥٨ ح ٢٩٠٦ باب ١٤ أبواب فضائل القرآن . وفي بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢٤ عن تفسير العياشي .

<sup>٤</sup> الغدران جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ، والأثافي جمع الأثافية ، وهي الأحجار الثلاثة التي يوضع عليه القدر ليطيخ .

لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الوردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون وأعلام لا يعمى عنها السائرون ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون ، جعله الله ربا لعطش العلماء ، وربيعا لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونورا ليس معه ظلمة ، وحبلا وثيقا عروته ، ومعقلا منيعا ذروته ، وعزا لمن تولاه ، وسلما لمن دخله ، وهدى لمن ائتم به ، وعذرا لمن انتحلته ، وبرهانا لمن تكلم به ، وشاهدا لمن خاصم به ، وفلجا لمن حاج به ، وحاملا لمن حملة ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن استلام ، وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى ، وحكما لمن قضى<sup>١</sup> .

### القرآن فيه شفاء من أكبر الداء

٤- وقال عليه السلام : واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى ، أو نقصان من عمى . واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لاوائكم ، فان فيه شفاء من أكبر الداء ، وهو الكفر والنفاق والغبي والضلال ، فاسألوا الله به ، وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه ، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله . واعلموا أنه شافع مشفع ، وقائل مصدق ، وإنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ، فانه ينادي مناد يوم القيامة : ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله ، غير حرثة القرآن ، فكونوا من حرثته وأتباعه ، واستدلوه على ربكم ، واستنصحوه على أنفسكم ، واتهموا عليه آراءكم ، واستعشوا فيه أهواءكم وساق الخطبة إلى قوله : وإن الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين ، وسببه الأمين ، وفيه ربيع القلب ، وينابيع العلم ، وما للقلب جلاء غيره ، مع أنه قد ذهب المتذكرون ، وبقي الناسون والمتناسون ، إلى آخر الخطبة<sup>٢</sup> .

### القرآن حجة الله على خلقه

٥- ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها : فالقرآن أمر زاجر ، وصامت ناطق ، حجة الله على خلقه ، أخذ عليهم ميثاقه ، وارتهن عليهم أنفسهم ، أتم نوره ، وأكرم به دينه ، وقبض نبيه صلى الله عليه وآله ، وقد فرغ إلى الخلق من احكام الهدى به ، فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه ، فانه لم

<sup>١</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٢١ .

<sup>٢</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٢٣ عن نهج البلاغة رقم الخطبة ١٧٣ .

يخف عنكم شيئاً من دينه ، ولم يترك شيئاً رضيهِ أو كرهه إلا وجعل له علماً بادياً ، وآية محكمة تزجر عنه ، أو تدعو إليه ، فرضاه فيما بقي واحد ، وسخطه فيما بقي واحداً .

### أعوان القرآن منصورون

٦- وقال عليه السلام : وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه ، وبين لا تخدم أركانه ، وعز لا تهزم أعوانه<sup>٢</sup> .

### القرآن قائد إلى الرضوان

٧- في خطبة فاطمة عليهما السلام في أمر فدك : لله فيكم عهد قدمه إليكم وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله بينة بصائرها ، وآي منكشفة سرائرها ، وبرهان متجلية ظواهره ، مديم للبرية استماعه ، وقائداً إلى الرضوان اتباعه ، ومؤدياً إلى النجاة أشياعه ، فيه تبيان حجج الله المنيرة ، ومحارمه المحرمة ، وفضائله المدونة ، وجملة الكافية ، ورخصه الموهوبة ، وشرائطه المكتوبة ، وبيناته الجالية<sup>٣</sup> .

### القرآن أفضل الأشياء

٨- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أعطاه الله القرآن فرأى أن أحداً أعطي شيئاً أفضل مما أعطي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً<sup>٤</sup> .

### الخلاص من الفتنة

٩- عن أبي سخيلا قال : حججت أنا و سلمان الفارسي من الكوفة فمررت بأبي ذر فقال : انظروا إذا كانت بعدي فتنة وهي كائنة فعليكم بخصلتين : كتاب الله وبعلي بن أبي طالب فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام : هذا أول من آمن بي وأول من يصفحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين<sup>٥</sup> .

والحمد لله ب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

<sup>١</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٢٠ عن نصح البلاغة خطبة ١٨١

<sup>٢</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٣٣

<sup>٣</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ١٣-١٤

<sup>٤</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ١٣

<sup>٥</sup> بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨٩ ص ٢٦ .